

ضابط الحرس القومي المتعصب بيرس - جريم بخصيه .
في هذا الوقت بالذات تلد لنا طفلا ويقوم القس هايتاور
بدور القابلة . وعندما يهرب براون - بيرش مرة أخرى منها
تغادر لنا جفرسون يرافقها المخلص بعناد بايرون بنش .

نواة هذه الرواية هي حكاية جو كريسماس ، وهي
مروية من خلال استرجاع الماضي في أجزاء طويلة تستغرق
سبعة فصول . وقد سمي بطل الرواية بكريسماس عندما
كان في ملجأ الأيتام في ممفيس حيث وضعته جدته دوك
هاينز . ويعيش جو في رعب دائم استمر مدى الحياة
بسبب أنه علم أن أباه قد يكون نصف زنجي . لم يتح له
قط أن يتأكد من الحقيقة ولا نحن كذلك ، ولكنه كان يعرف
شروط المجتمع الراسخة وهي أن على الإنسان أن يحدد
هويته ان كان أبيض أو زنجيا وأن عليه ان يسلك حسب هذا
التحديد . وكان كريسماس يبدو أبيض وقد تعامل معه
المجتمع على هذا الأساس ، ولكن قوة قاهرة كانت تدفعه
المرّة تلو المرّة ان يعلن أنه زنجي . وهو عندما يكون بين
الزنج يصر أنه أبيض . وهكذا أصبح قدره ان يظل عاجزا
عن التوصل الى الراحة في أي مكان يحل فيه ، وأن يظل
متارجحا بين كونه زنجيا حيناً وبين كونه أبيض حيناً آخر .
لا يستطيع أبدا ان يجد هويته الا في مواقف العنف التي
تتكرر كثيرا والتي يتعمد تكرارها حتى أصبحت إحدى سمات
حياته .

الكثير من مواقف العنف هذه يحمل طابعا شبه